

سيرة القديسة ماركيلا التي من خيوس*

يُعيّد لها يوم ٢٢ تموز (كنسي)/٤ آب (مدني)



ولدت ماركيلا¹ عروسة المسيحة الطاهرة والمغبوطة في أواخر القرن الخامس عشر² في جزيرة خيوس العطرة، في قرية من مناطقها النائية تدعى فوليسوس.

كان أبواها من أكثر الناس ثراء في القرية وكانا مسيحيين. كان لوالدة ماركيلا ومنذ صغرها حب شديد للعدراء مريم. وحين تجوزت والدتها وانتقلت للعيش في منزلها الخاص، تضرعت بالصلاة أمام أيقونة والدة الإله طالبة الإنجاب بطفل. وحين حبلت وأنجبت ماركيلا، جلبت الطفلة فرحاً كبيراً للعائلة. وبالرغم من أن الوالدة كانت تقية ووقورة، كان الوالد ساخراً من الكنيسة.

عندما كانت ماركيلا في الثانية عشرة من عمرها، تكلمت أمها معها مطولاً عن المسيح ومحبهه. بلغة بسيطة يمكن للطفلة أن تفهمها، حدثتها أمها عن تجسد ابن الله المولود من العذراء. زرعت الأم في نفس ابنتها أهمية التشبه بنقاوة البناجيا³ (الفائقة القداسة). وشرحت لها كيف المسيح سوف يأتي ويسكن فيهن أيضاً.

في أوقات أخرى، كلّمته عن التعاليم السماوية للرب يسوع. وذكرت لها عجائب محبهه. بألم ودموع تحدثت عن الآمه، ولكن بصوت مبتهج بالنصر علّمته عن القيامة. لم تهمل الأم الوالدة أيضاً أن تسرد لها سير القديسين و جهاداتهم. أخبرتها القصص بكل قلبها ونفسها لدرجة أن ماركيلا اعتقدت أنها فعلاً كانت حاضرة فيها. ثم هتفت ماركيلا: "أحب كثيراً ما تخبريني يا أمي... لكن أخبريني المزيد. فأنت تظهرين جميلة كالملاك حين تفعلين ذلك!" أجبتهما والدتها: "عندما تنضجين، سوف أشرح لك المزيد عن الرب. سوف أخبرك أيضاً عن البناجيا والقديسين في الوقت المناسب."

كانت والدة ماركيلا ملاك سلام ومرشداً أميناً وحارساً لنفس العذراء وجسدها. واعتبرت ماركيلا والدتها أفضل أم في العالم. في كل يوم تعلمت المزيد عن الإيمان ونضجت لتحب الرب والأم العذراء والقديسين والجهاد من أجل الفضيلة. مع ذلك أصيبت والدة ماركيلا بمرض عضال. فأدركت أن رحلتها الأرضية شارفت إلى نهايتها.

في أحد الأيام نادى الوالدة ماركيلا إلى جانب سريرها وقالت لها: "أخبريني يا ماركيلا ماذا حصل بعد الصلب و دفن الرب يسوع؟" أجابت: "قيامته!". فتابعت والدتها وسألتها: "ماذا يعني هذا بالنسبة للبشر؟" فقالت ماركيلا: "هم أيضاً سوف يقومون." عندها أضافت الأم، "هو قال للشعب "أني ذاهب لأحضر لكم مكاناً في السموات وسوف آتي لأخذكم إلى بيت أبي."⁴ فقالت ماركيلا: "نعم يا أمي." ثم سألتها: "أين إذاً سوف يذهب المسيحيون بعد أن يغادروا الأرض؟" أجابتها العذراء: "إلى السموات يا أمي" فتابعت الأم وأضافت: "ولكن...ولكن يا ابنتي الصغيرة هذا الإنفصال الذي هو انفصال مؤقت يجلب الحزن للأحباء..." فقالت ماركيلا: "لمن يا أمي؟" فقالت "لنقول لأم ولإبنتها. أنا حزنت عندما غادرتني والدتي يا ماركيلتي، تماماً كما نحن نحزن حين يذهب أحد أحبائنا في رحلة إلى مكان بعيد. فقالت ماركيلا: "هي كانت جدّة." فأجابت الأم: "ولكن ليس فقط الجدّات يدعوهنّ الرب إليه. فهو يدعو الأمهات أيضاً يا حبيبتي." فحدّقت بها ماركيلا باهتمام وقالت: "والأمهات؟" فأجابت الأم: "بكل تأكيد." عندها سألتها ماركيلا: "وماذا يفعل الأطفال عندها؟" أجابت والدتها بهدوء: "إذا كانوا بنات صغار يؤمنون بالرب يسوع ويحبونه كثيراً، هو الناهض من بين الأموات والذي هو الآن مع أبيه ووالدته الكلية القداسة وجميع القديسين يتجهجون

في السموات، عندها... عندها—، ماذا تفعلن تلك البنات الصغار يا فرحي؟" فسألته ماركيلا: "هل بيكين يا أمي؟" فقالت لها: "إبكي، واجلبي لي القليل من الماء يا ماركيلتي." فأجابته ماركيلا: "نعم يا أمي".

والتفتت بعدها والدتها للصلاة متممةً: "إذا ممكن لهذا الكأس أن يعبر عني أو عن ابنتي... كيف سأتركها في حالتها هذه؟ ولكن إذا هذه مشيئتك، قدسها لكي أفرح أنا أزلياً في السموات. استمع لي يا إلهي. أمّ مسيحية تضرع إليك. أصغ إليها أيها الله الأب!"

عندها جلبت لها ماركيلا الماء، فعانقتها والدتها وقبّلتهما. كان هذا الوداع الأخير. ثم قالت لها أمها: "إذهبي الآن إلى غرفة الرسم واقراي يا ماركيلتي. علي أن أنام... لكن تذكّري كل شيء يحفظ نفسك وجسدك طاهرتين كالزنبق، مثل العذراء الكلية الطهارة الممتلئة نعمةً."

عندها نظرت والدة ماركيلا إلى العلى وقالت: "أنا آتية يارب. إنما تضرعي هو لماركيلا." فسُمع صوت، "أتركها لمحبتتي. سوف تمجديني سوياً معها." حلّ عليها الفرح فقالت الأم من أعماق قلبها: "أشكرك يا ربي يسوع!" عندها، وبينما كانت تنظر تجاه ماركيلا عن بعد، رقدت في الرب.

في وقت لاحق عثر عليها زوجها. حضرت قرية فوليسوس بأكملها جنازة تلك السيدة التي برزت بأعمالها الإنسانية. وأرسلت ماركيلا مؤقتاً لتبقى مع عمّتها.

أصبحت الحياة صعبة على ماركيلا بعد أن وقع عاتق تربيتهما على والدها، لكنها تحمّلت مزاجه المشاكس بصبر وبهجة. أخذت ماركيلا على عاتقها إدارة المنزل بشكل دائم. لكن الأب وابنته لم يصلّيا معاً أبداً.

مرة، وبعد أن أنهت ماركيلا صلاتها المسائية، قال والدها بفضاظة: "صلّي واذهي للنوم!" فسألته: "أليس لدي الوقت لأضيء قنديل الزيت وأحرق البخور أمام الأيقونات؟" فأجابها والدها: "هذه الأمور يقوم بها قندلفت الكنيسة. منزلي ليس كنيسة فيها شموع وبخور وقناديل زيت. اتركها! فأنت تفوقت على والدتك المغبوط ذكرها!" عندها سأله ماركيلا: "هل الصلاة والأيقونات أو الرب يسوع والفائقة القداسة والقديسين أمر مفرط؟" أجابها مجدداً: "منزلي ليس بكنيسة. اهتمي بواجباتك وادرسى دروسك." ولم تتحدى ماركيلا سلطته.

كان والدها يختلف كثيراً عن والدتها. فهو افتقر لحساسيتها ومنطقها وإيمانها ومحبتها. لم يكن لديه دفنها وفرحها ونفاؤها. افتكرت ماركيلا لنفسها: "ماذا سأفعل الآن. والدتي في السماء تنظر إلي من العلى. سوف أقوم بما علّمتني

إياه...سوف أتفوه بمشاكلي في الصلاة. أبي لا يريدني أن أشعل قنديل الويت ولا أن أبجّر الأقونات كما كانت تفعل أمي. إذاً سوف أشعلهم في نفسي."

و هكذا أتمت ماركيلا صلواتها واهتمت بشؤون المنزل. لم تنسى أبداً ذكرى أمها ومحبتها وسبلها النبيلة. وكانت السيدة والدة الإله داعمتها الأساسية.

سُرَّ أبوها بإدارتها لشؤون المنزل. من ناحية أخرى، في الوقت الذي كانت فيه في السادسة عشرة من عمرها، لم تقوم ماركيلا بمجرد أعمال منزلية وحسب، لكنها عملت خارجاً مع والدها على الأرض الخاصة بهم. مرة سألتها إذا هو فشل في تحقيق توقعاتها، فأجابته أنها لديها إعتراض واحد فقط، وقالت: "أنت توقفت عن الذهاب للكنيسة. مع أمي كنت تذهب... فقاطعتها قائلاً،" لكن ما المنفعة من ذلك؟" فقالت ماركيلا، "الإيمان والرجاء والفرح والسلام... فقاطعتها قائلاً،" إنها للنساء أصحاب العقول الصغيرة... فقالت، "هل هذا يعني أن الرجال في القرية لديهم عقول صغيرة أيضاً؟ فأجاب، "أنا لست أقول ذلك." فتابعت ماركيلا: "أقول لك يا أبي، كن حذر، أمر ما معك ليس على ما يرام. الله حياة. فهو يعطينا الهواء والطعام وكل شيء." فعلق الأب قائلاً، "هذه فلسفات... فقالت، "هذه الحقيقة!" فقال، "عيشي كما تري... فأجابت، "هذه أمور أراها وأشعر بها وأعيشها". لكن أباها علق قائلاً، "حماسة شبابية". لكنها أجابت، "إنها نوع من الحكمة". عندها قال لها، "حضري الطعام لكي نأكل". فأضافت، "من الأمور الصالحة التي يمنحنا إياها الرب بغنى." عندها قال لها، "كفي عن هكذا فلسفات تافهة. حضري الطعام. لنأكل ونشرب؟ هذا كل شيء!"

منذ طفولتها، ترعرعت ماركيلا جيداً على أيدي والدتها وكان هذا الأمر جلياً في شخصيتها. كانت تقية وتحترم الآخر، وأهم من كل شيء حافظت على طهارتها. تحاشت الإختلاط مع الفتيات الأقل تحفظاً، وخاصة مع الشبان لكي لا تتأذي روحياً من هكذا عشرة. كان هدفها واحد: لتكتسب كل الفضائل وتصبح عروساً طاهرة للمسيح، لكي في النهاية تُحسب مستحقة لملكوت السموات.

بينما كانت تكبر في السن، كانت فضائلها تتضاعف أكثر لأنها أمضت معظم أوقاتها في عبادة الله. فهي التزمت بالصوم والصلاة وحضرت جميع الخدم. قدّمت العون للفقراء وحاولت دائماً جلب الآخرين إلى سبل الله. باختصار، سعت إلى الحفاظ على كل الوصايا وإرضاء الله. أما والدها، فكنت له أشد الإحترام وأحبه كثيراً، متذكرة الوصية "أكرم أباك وأمك...⁵ لم تتوقف أبداً عن كسب فضله وتعزيتته في أحزانه، قائلة، "أنا يا أبي سأكون بديلة عن أمي. سوف أكون معك في شيخوختك. لن أتركك في وقت ضيقك. سوف أكون هناك في مرضك وفي كل أحزانك." وهو أحب سماع هذه الكلمات من ابنته؛ و عندما كبرت في السن، أخذت كل صفات والدتها.

وبلغت ماركيليا ربيع شبابها. في العشرين من عمرها أصبحت امرأة مستقيمة. جمالها وقامتها كما فضائلها ومواهبها الروحية جعلتها شبيهة بالملاك الأرضي. ابتسامتها الحاضرة ولطفها أسرتا زملائها القرويين الذين تلقوا سلامها أو كلماتها العذبة. اعتبرت نفسها محظوظة وحالتها اليتيمة بدت وكأنها غير مهمة. أحبت الجميع؛ ولكن سعادة هذه العذراء كانت مؤقتة.

فجميع صفاتها الممتازة لم تذهب دون أن يراقبها حاقد-الخير والعدو المشترك لخلاص البشر، وذلك لأنه كان حسوداً وأراد أن يضعف مكانتها. لم يطق الشيطان بأن تُغتصب قوته من قبل فتاة صغيرة وجميلة؛ في الواقع، فتاة قروية بسيطة وأقية فقط تعرف ذلك المصلوب، يسوع المسيح. حسده جعله يرغب بطرحها في أعماق هاوية الخطيئة (من غير ريب هي التي تجاوزت الجميع بالفضائل). وهكذا أخذ يخطط لهجوم فوري، فسعى إلى زرع الأفكار الشريرة في عقلها الإلهي الطاهر. بالرغم من صغرها كانت تتميز بقناعة روحية قوية وناضجة، وبالتالي هي ولا بأي حالة تمتعت أو أصغت لهمسات الشيطان الخبيث. وبالتالي تراجع الشيطان الحقير عن التنافس مباشرة معها. لم يكن بوسعها رفع عقلها إلى أفكار الكبرياء، بالرغم من أنها كانت الأغنى والأجمل في هذه المواهب؛ كما أيضاً لم يستطع أن يثير شهواتها الشبائية ولم يكن بوسعها بأن يدفعها لتصنع مشيئته بواسطة أي من السهام الأخرى التي أطلقها تجاهها. ماذا كان إذاً أكثر الشرور الذي لا يتخيله ولم يسمع به بشر عند المسيحيين؟ فهو وجد والدها فاسقاً ومفتقراً للنعمة الإلهية، وبالتالي تربص به وزرع فيه الأفكار الشهوانية تجاه ابنته بالذات! واحسرتها، شر وخبائثة الشيطان! الويل لوسائله الخبيثة! فهو خدع حواء من خلال الحية وهكذا أراد خداع ماركيليا من خلال أبيها لأنهما كانا معاً ليلاً ونهاراً، كأب وابنته. وبالتالي، جرحته سهام الشرير السامة، كونه هو مسحوراً بجمال ابنته. انتبهوا إذاً ولنباشر بسرد سيرته المنورة.

فجأة خيّم غيمة سوداء فوق المنزل. وفجأة، غرق والدها في حالة إكتئاب عميق. تحاشى أن ينظر تجاه ماركيليا. أصبح قاسياً وتكلم معها بمرارة في صوته. رفض السماح لها بالخروج إلى الحديقة أو بالتحدث مع الجيران. فأقفلت نفسها في غرفتها وانفجرت بالبكاء. أعطتها الصلاة تعزية كبرى. "يا عذرائي وبانا جيتي، أنيريه. خلصيه من حزنه. اعيديه كاملاً وموزوناً؛ اجعليه يحبني ولا يكرهني، أيتها الكلية القداسة. أنتي تعرفين جيداً كيف ربّاني كيتيمة، لأن والدي هي معك. لقد عانى أبي المشاكل في تربيته إلى هذا العمر، والأن، ماذا الذي حصل ليغيره؟ لماذا ينظر إلي بسخط؟ لماذا لا يحبني مثل الأوقات السابقة؟ فعلاً إنني أجد ملجأً عندك يا باناجيتي." وحين كانت تبكي هكذا، غلبها النعاس أمام أيقونة والدة الإله. ثم استيقظت على صراخه المفترط. ففكرت في نفسها، "ماذا الذي حصل؟ لماذا تغيرت الحياة هكذا؟"

واحسرتها! كما قلنا، اقترح روح شيطاني أفكار رديئة في عقله ولوّث نفس ذلك الرجل. فأنثرت أهواء الرجل المسن وفسد ضميره. لم يعد ينظر على ماركيليا كإبنته، لكنه فغر فاه وكأنها امرأة، وهذا أمر صارع ضده لبعض الوقت. تكبد

العذاب كثيراً ليُطرد هذه الرغبة الشريرة والمحزّمة. بقي دون نوم ليليّ طويلة ودار وتقلّب في فراشه. فالحرب كانت مروعة. وهو حارب وخسر. انقلب وأتته أفكار مثل "أنه زرع شجرة تفاح، فلماذا على غيره أن يأكل من ثمارها؟" هكذا أفكار لم تسمح له بإيجاد راحة البال وكما قلنا، استسلم لأمره.

في بداية الأمر كان يحدّق بها باهتمام، مكلماً ومعاملاً إياها بفضاظة. بعدها، تغيّر أسلوبه. بدأ يتحدث معها بكلمات جميلة؛ أرادها أن تكون بجانبه؛ كان يمسد يده على شعرها ويتأمل بعينها. في كل هذه الفترة، لم تكن ماركيلا على يقين بنوايا والدها. فهي اعتقدت أن صلواتها هي التي تسببت بالتغيير في قلبه. مسكت برأسه وقبّلت يديه. و أعادت مراراً وتكراراً وبدموع الفرح، "إليك أيتها العذراء القديسة أنسب هذه الأعجوبة، لأنك استجبت لصلواتي، وأنا أشكرك. ولكن والدها كان مسكوناً من الشيطان.

بالرغم من أن العذراء في بداية الأمر لم تدرك هذا الأمر، لم يمر الزمن طويلاً حين فهمت نواياه الحقيقية. صُغت ماركيلا بالرعب وافتكرت لنفسها، "لكن كيف ممكن أن يكون هذا؟ كيف ممكن للمرء بتخيّل هكذا أمر؟" مع ذلك، كان الأمر صحيحاً. ارتجفت ركبناها من هذه الفكرة المقززة للنفس. فأخذت بالدعاء بتواصل، "يا بناجيتي، يا بناجيتي!" يمكن القول أن عيني والدة الإله في الأيقونة نظرنا إليها الآن بشفقة، متعاطفتين معها، وتكلّمت داخل قلب ماركيلا قائلةً، "لا تخافي يا ابنتي، أنا حامية جميع المحزونين. ولا أحد من الذين يلجأون إلي يغادر مخذولاً... أنا سوف أحملك."

كل يوم يعبر كان مؤملاً ومرهقاً على ماركيلا. فوالدها عرض مشاعره بانفتاح وبكلمات منتهورة وصادمة. فهي أدركت عندها مدى سيطرة الشيطان على والدها، فتحاشته قدر الإمكان. وأصبح جو المنزل وكأنه مقبرة. ولاحظ الجيران أن أمراً موروباً يحصل مع هذا الرجل العجوز المشاكس، فتوقفوا عن إلقاء التحية عليه.

كان صباحاً هادئاً. بعد المصيد، عادت قوارب الصيد الصغيرة من بسارا⁶، إلى فوليسوس. من الواضح أن لا أحد توقع العمل البشع الذي كان سيحصل على الخليج الصغير لهذه القرية بعد بضعة ساعات قليلة.

أما البتول القديسة فهي رغبت فقط بمحاكاة العذراء الفائقة القداسة بكل من جمالها الروحي والجسدي. فتعهّدت ماركيلا بنفسها لوالدة الإله، وهي مستعدة لتقبّل الموت. ثم اتخذت القرار بمغادرة المنزل.

ركضت ماركيلا نحو الجبل. فطاردها والدها كالنمر النائر. لحسن الحظ وبسبب عمره، بدأ يلهث بسرعة. ارتكى على جذع شجرة وبحث بعينه عن ماركيلا لكنه لم يجدها. ثم بدأ يتكلم وكأنها أمام عينيه قائلاً، "إلى أين ستذهبين؟ سوف أجدك وأمزقك!" ثم وقع على الأرض وأخذ يركل التراب برجليه مثل المجنون. في ذلك الحين، كانت ماركيلا قد وصلت إلى القمة واختبأت بين أوراق الشجر. من ذلك المكان ودون أن يراها، استطاعت أن ترصد والدها من بعيد.

ثم جلست على صخرة، وشعرت بغيمة سوداء داخلها وكأها تغطي الأرض بأكملها. لكنها قالت لنفسها، "الله الآب والخالق لن يتركني. سوف أقف وبعون الله سوف أريح. إتما أن أحيأ أو أموت بطلاة، حسب ما يسمح به الله. نعم. الشرف أو الموت. الموت على الأرض والحياة الأبدية في السموات مع القديسين الذين انتصروا بغلبة ضد الشر. هناك سآجد والدة الإله الكلية القداسة والدائمة البتولية مريم ووالديتي." "أين كانت ستسكن و ماذا كانت ستأكل لم تكونا في موضع إهتمام بالنسبة لها. افتكرت أنها سوف تبقى وتأكل مثل العصافير. تذكرت كلمات الرب أننا "أفضل من عصافير كثيرة! (القديس متى ١٠: ٣١)" و هكذا استعادت قوتها. وبقيت ماركيلا هناك حتى حلول الظلام.

بحلول الظلام، فكّرت لنفسها كيف يمكنها أن ترى تقدّم والدها. فقالت بإيمان، "الله الآب سيساعدني". ثم ظهر بدر قمري كامل منيراً الريف المجاور. عندها صنعت ماركيلا إشارة الصليب وسهرت حتى منتصف الليل. عندها سمعت ماركيلا دق أجراس قطيع الغنم. فكّرت لنفسها، "لن أختبئ. الجميع يعرفني ويحبنى؛ وأنا أحب جميع أهالي فوليسوس." ثم ظهرت لها راعية غنم، فصرخت إليها ماركيلا من كل قلبها، "ماروسو!"

لمحت ماروسو ماركيلا وتبعته صوتها في الظلام. وسألته، "هل هذه أنت يا ماركيلا؟ أجابته البتول القديسة، "نعم هذه أنا." فتابعت ماروسو، "في هذه الساعة، هنا؟" أجابته ماركيلا، "هناك شر كبير يهددني فجأت هنا هرباً." فقالت ماروسو، "أي شر، من يا ماركيلا؟" أجابته ماركيلا، "لا يمكنني أن أبوح لك، ولا يمكنك سماعه. ستعرفين لاحقاً." عندها سألتها ماروسو، "وهل ستبقين هنا الليل كله؟" أجابته القديسة، "نعم، وعدة ليالي وأيام، إلى حين أن أعرف ماذا سيحصل." فقالت ماروسو، "وأنا سأبقى معك! يا ماركيلا الحبيبة، يا من ساعدتني كثيراً أنا وعائلي. حقاً، من في فوليسوس لم تقدّمي له العون؟ في كل أنحاء خيوس، لطفك وفضلك معروفان للجميع. سوف أكون معك الآن وفي أيامك الصعبة. لحسن الحظ، إنها صيفية."

"سوف نطرح أغصاناً على الأرض وننام." فأجابت ماركيلا، "كلا، نامي يا ماروسو 'اسهروا وصلّوا' [القديس متى ٢٦: ٤١] هذه أيامي حين يجب أن أقف ساهرة، لئلا يأتي الشرير؟" فتطوّعت ماروسو قائلة، "سوف نتبادل الأدوار يا ماركيلتي. أنت ستسهرين وأنا أنام. ثم أنت تنامين وأنا أسهر. لكن عليك أن تأكلي شيئاً. لدي الخبز والجبن في حقيبتي. لدي ماء أيضاً. تعالي وأكلي يا أختي الحبيبة." عندها أكلت ماركيلا وشربت واستعادت قواها. ثم قالت لها ماروسو، "استلقي ونامي يا ماركيلا. لقد حضّرت لك مناماً. أنا سوف أسهر." فنامت ماركيلا مرهقة جسدياً ونفسياً. ولكن قبل الصباح كانت واقفة على نقطة مراقبتها.

في هذه الأثناء لاحظ سكان فوليسوس غياب ماركيلا وافتقدوها. ذهبوا إلى منزل والدها وسألوه، "أين ماركيلا؟" فأجابهم بسخرية، "ذهبت لتصبح قديسة..." فأصروا وسألوه، "إلى أين ذهبت؟" فصرخ بوجهه المظلم والجامح،

"لا تسألوني. اتركوني وشأني. اذهبوا. اخرجوا من هنا!" عندها غادره القرويون.

بالرغم من ذلك، تحدثوا فيما بينهم سائلين، "إلى أين ذهبت. لقد كانت 'قديسة' بالفعل، مع هكذا إيمان ومحبة لله. كانت محسنة للجميع. على ماذا يتكلم والدها. هذه أول مرة نرى فيها رجل بهذه الدرجة من الظلمة والكآبة. عندها تضرّع القرويون قائلين، "احفظ يا رب ماركيلتنا بأمان!"

صرّ والد ماركيلا بأسنانه وعول كالذئب المفترس، مفكراً لنفسه، "إلى أين ستذهبين مني؟ سوف أتركك لأيام قليلة لكي تجوعي وتصبحي ضعيفة غير قادرة على الركض. عندها سوف آتي وأقطعك أرباً، لن أرتاح حتى أراك جثة هامدة تأكلها الكلاب!"

مرّت عدة أيام وامتلاً أباهما في نفسه وقلبه بغضب يتعدّر ضبطه. أخذ سكيناً وقوساً وسهماً. ثم صعد على حصانه وغادر ليجدها. بوجه ناري ورغوة في فمه، أعلن "اليوم لن تغلتي مني!"

عائنت ماركيلا من موقعها أباهما آتياً من بعيد، فنادت بعاطفة، "ماروسو، إنه آت!" فسألته صديقتها، "من يا ماركيلتي؟" أجابته، "سوف ترين قريباً. أخبئني في مكان ما لكي لا يرايني." فقالت ماروسو، "هناك كهف قريب منا. تعالي، ادخلي وأنا سأغطيه جيداً بالأغصان." فدخلته ماركيلا وقلبهما يقصف، وقالت، "إحفظني يا إلهي؛ خلصيني يا بناجيتي!"

وجد الوالد ماروسو فقال لها بخشونة، "ماذا تفعلين هنا؟" أجابته، "كما ترى أنا أرعى خرايبي." فقال؟، "ألم تري ماركيلا؟" فأجابته، "رأيتها تصعد على الجبل منذ أيام." فقال، "وإلى أين ذهبت؟" أجابت ماروسو، "لقد صعدت إلى القمة، أما أنا كنت بعيداً في الأسفل." فطالبها الوالد، "وبعدها؟" فتابعت، "بعدها انصرفت إلى عملها؟" فردّ عليها بحسم، "أنت لم تتكلمي بالصح" فأجابته، "أنا أقولها بكل صواب. ماذا عساي أن أقول إذا أحدهم سألني عنك صدفة بعد برهة قصيرة؟ ألا يجب أن أقول، رأيتته. فهو مرّ من هنا وانصرف إلى عمله؟" كيف أكون لا أقولها بصواب؟"

عندها أشار نحو الشمال وقال، "هل يمكن أنما ذهبت في ذلك الاتجاه؟" فقالت ماروسو، "ربّما." عندها قال، "إلى أين ستذهب بعيداً عني؟" سوف أجدها وعندها سوف نتكلم عن الأمر!" فسألته، "ما هو الشر الذي صنعتك بك يا سيدي؟ ماركيلا هي الأفضل في فوليسوس؟" عندها قال لها، "اخوسي، وإلاّ سوف أجلك!"

عندها بدأت الكلاب التي كانت تحرس خرافها تنبح وتزجر على حصانه منذرة إياه. لبيتعد عن الكلاب، عاد الوالد أدراجه واتجه شمالاً. تبعته ماروسو بعينيها حتى توارى عن الأنظار.

عندها التفتت ماروسو نحو ماركيلا وقالت، "يا ماركيلتي لقد ذهب شمالاً. والدك يا صديقتي كان أشرس من كلابي حين يثورون. ما الذي حصل؟ ماذا ستفعلين؟ هل ستبقين هنا أو هل ستغربين بالذهاب جنوباً إلى مكان أكثر أماناً؟" أجابت ماركيلا، "سوف أذهب جنوباً إلى مكان أبعد." فقالت ماروسو، "فليكن ما تعتقدينه الأفضل لك يا صديقتي." عندها قالت البتول القديسة، "أنظري حواليك وقولي لي، هل يظهر في مكان ما؟" أجابت ماروسو، "ولا في مكان." عندها قالت ماركيلا، "إذاً أنا ذاهبة."

ركضت ماركيلا نحو الجنوب، بين الشجيرات والشوك. ركضت دون أن تكثر لثوبها الممزق وقدميها المجروحتين من الأغصان والأشواك. هي فقط افتركت بكيفية الهروب من والدها.

قرب الشاطئ وفي مكان الصخور الشاطئية، كان هناك راعي يرعى خرافه إلى داخل حظيرة ليحميها من شمس تموز المحرقة. طيلة المساء حاولت الخراف بأن تسد جوعها لكن كله كان باطلاً. بسبب طبيعة الأرض الصخرية والقاحلة، كانت قد تجمعت الخراف الآن تحت أغصان شجرة الدلب القريبة من البئر الصغير. كان الراعي على وشك أن يتسطح عندما سمع صوت والتفت نحو الشمال.

شاهد امرأة شابة تركض مثل خروف تائه على وشك أن يفترسه ذئب. اقتربت منه وهي حافية القدمين وشعرها المنكوش وثوبها الممزق واختبأت داخل شجيرة كبيرة، غير مبالية بأشواكها. فافتكر بصوت عالٍ، "ما الذي حصل بها؟ من يطارد هذه الفتاة المسكينة؟ أين كانت طيلة المساء لتجد نفسها في هذه الساعة في هذه البقعة المقفرة حيث فقط الرعاة والخراف تروم؟" تقدم بالقرب منها فتفاجأ وهتف، "إنها ماركيلا، المرأة النبيلة الشابة!"

بعدها سمع حصان يركض وبسرعة فائقة وجد والد ماركيلا أمامه (فهذا كان معروفاً للجميع كالمواطن الأول في القرية). بأعين نارية وفم يرتغي، وبدون أن يلقي عليه سلام، سأله فجأة، "ربما رأيت ابنتي. هل مرّت ماركيلا من هنا؟" فبدأ الراعي المرتعب يُتأتئ، "ماركيلا...". فصرخ الوالد، "أنا قلت ماركيلا!" عندها شهر خنجره وأضاف، "قل لي بسرعة، وإلاّ سوف أذبحك!" أجابه الراعي الذي بالكاد كان يستطيع الكلام نتيجة رعبه، "في الحقيقة، آه، كلا، لم أراها." هذا الراعي البائس، مريداً أن يكسب صالحه، أشار بإصبعه طيلة الوقت نحو الشجيرة حيث كانت مختبئة.⁷ وهكذا نتيجة الخوف أسلم الراعي بالحمل إلى الذئب الخاطف والمفترس.

ترجل والدها فوراً وركض إلى الشجيرة صارخاً، "أخرجني من الشجيرة يا ماركيلا!" لكنها رفضت وقالت، "لا أريد حياة مخزية. إما الكرامة أو الموت! موت مشرف يستحضر الحياة السماوية المباركة." ففقد الوالد السيطرة على مزاجه وصرخ، "من أين أدخل لألقي القبض عليك؟ كيف دخلت في الشجيرات المشوكة؟ أخرجني!" هذه المرة، بقيت البتول

النقية صامته فقط لجأت إلى الصلاة متممة، "أعطني القوة يارب لأكافح من أجل ناموسك المقدس، ولولادة الإله الفائقة القداسة والدائمة البتولية مريم، وللشوق لأمي والبركة منها."

وصرخ ذلك الوحش عويلاً من الغضب، "أخرجي!" لكن ماركيلا ودون أن تكسر صمتها استمرت بالصلاة من كل قلبها، "عندها خار ذلك الوجع المستوحش، "سوف أحرقك وأنت حية!" وبقيت ماركيلا صامته. وماذا كان باستطاعتها أن تتكلم. فاستمر في خواره وقال، "لن تتكلمي؟ سوف أشعل ناراً. الآن سوف أراك!" عندها أشعل أبوها المتوحش ناراً ليجبرها على الخروج. انتشرت النيران بسرعة وأحاطت البتول القديسة. وعندما لقت النيران الفتاة التعيسة، هربت إلى الناحية الأخرى غير مبالية بالأشواك التي أمامها أعينها، وقبل أن يمسك بها أبوها هربت نحو الصخور الحادة التي تنقذ الخط الساحلي.

صرخت، "يا مسيحي!، يا بناجيتي!" كانت الدماء تسيل على وجهها ويديها وكل جسدها، لكنها استمرت في الركض مدعورة. عندها وضع والدها سهماً على قوسه ولعن بغضب وقال، "ليجد هذا قلبك أيتها المشينة!" حقاً، هل حمل الله هذه النقية هي مشينة والذئب السفاح هذا هو شريف؟ هل ملاك الله معيب؟ هل هذه الزنبقة العطرة البيضاء مخزية، وهذا القدر صاحب الرائحة الكريهة والمظلم عقله بسفاح القربى، هو محترم؟

فجأة، شعرت بألم حاد في فخدها. توقفت قليلاً وسحبت السهم الذي أطلقه والدها، ثم أخذت نفساً عميقاً وهرولت مسرعة. دماؤها البتولية سالت من جرحها مثل النهر ملونة الصخور المجاورة. شعرت أن قوتها سوف تنفذ في أي لحظة. في غضون ذلك كان والدها الشرير يقترب منها. فهي سمعت ارتفاع صوت أنفاسه اللعينة. استحوذ عليها الرعب من الفكرة أنها في غضون لحظات سوف ينتهكها والدها. لكنها كانت ستحافظ على الأمر المقدس. فهتفت "نعم" ووقفت منتصبة. فامتألت ملامح وجهها العذبة والجميلة بالنور. وحين نظرت إلى الأمام ورفعت عينيها قالت ممتلئة بالروح "نعم، الشرف أو الموت، بعون الدائمة البتولية، وبصلوات وبركة أُمِّي!" وهكذا هذه الزنبقة الملتخة بالدماء ظهرت أكثر جمالاً من قبل، بمثابة بطلة الكرامة. عندها أخذت ماركيلا تركض على الشاطئ الصخري. وابتهلت بدون توقف، "يا بناجيتي تعالي معي. تعالي معي أيتها العذراء الدائمة البتولية." والدها كان يلتحق بها؛ فكان تقريباً على بعد ذراع ونفس منها. عندها تمتت الشهيدة البتول، "يا مسيحي، استمع صلاتي! أنقذ كرامتي! إصنع أعجوبتك؛ أتضرع إليك من عمق نفسي!" ثم صرخت باكية، "يا أُمِّي، لست قادرة على التحمل بعد الآن، من الأفضل لو الأرض تفتح وتبتلعني... يا مسيحي استمع لصلاتي! أغلقت المغبوة عينيها ورمت نفسها على ركبتيها، وهي تفتقر لأونصة من القوة لتخطو ولو خطوة واحدة إلى الأمام. وعلى الفور، حصلت أعجوبة. انفسخت الصخرة التي ارتمت عليها فاتحةً وتقبّلت جسد البتول الطاهرة إلى خصرها.

في غضون ذلك كان والدها يرتغي في فمه وعينيه قد أظلمتا وأصبحتا ممسوستين. فصرخ بفرح وحشي، "لقد أمسكت بك! إلى أين ستهربين الآن؟" حاول ميؤوساً بسحب ماركيلا من الفجوة. ولكن حقاً، تلك الصخرة العديمة الحس تمسكت بها بعناد كما يحركها الله، وهي أظهرت عاطفة أكثر من قلب والدها العديم الشفقة.

من هنا، يئس أبوها البائس. وفيما هو تعباناً ويتصبب عرقاً ويلتقط أنفاسه، شهر سكينه. توصلت إليه باكية وقالت، "لا تفعلها يا أبي...". لكنه بغضب قطع صدرها ورمها على الصخور. كان عقله مختل لدرجة أنه لم يعد يدرك ما كان يفعله. دماء ابنته طرّشت من رأسه إلى قدميه. مخموراً بجريمته المتعطشة للدماء، رغب بتنفيذ ضربته الأخيرة. عندها نظرت ماركيلا إلى العلى وقالت، "يا ربي ويا الفائقة القداسة الدائمة البتولية ويا أمي، بنعمة الله لقد حفظت على الوصية المقدسة. إني آتية إليكم الآن إلى حقول الزنايق الفردوسية!"

عندها أمسك أبوها بأخصال شعرها وقطع رأسها ورمها في البحر. في تلك الساعة، استجابت الطبيعة بعنف. فالبحر الهادئ أصبح هائجاً وأمواجه ارتطمت على قدمي قاتل الطفلة. اعتقد أن البحر سوف يغرقه بسبب أعماله الوحشية. ركض مثل الشخص الممسوس ليهرب من البحر ومن مسرح الجريمة. ولم يذكر التاريخ نهاية هذا الأب الخاطيء. طافت هامة الشهيدة على الأمواج، مبعثةً لمعاناً إستثنائياً. وحسب التقليد، أخذ مركب عابر الرأس الكريمة ونقله إلى روما القديمة.

و هكذا حازت ماركيلا البارة على إكليل الشهادة من المسيح، وذلك كمكافأة وهدية على تعقلها ورغبتها المتحمسة للمسيح ختنها. بكل تأكيد كان ممكن للقوة الإلهية أن تحفظها وأن تقبل نفسها المقدسة بسلام، ولكن لقد سمح لها المسيح بأن تحظى بميتة عنيفة، وذلك لكي تُقدّم له ليس فقط متحلية بلباس دمائها البتولية الطاهر. وهكذا دخلت تلك القديسة خدر العروس السماوي مع العذارى العاقلات، كشهيدة سويماً مع الشهداء الآخرين.

مقامها المقدس

مرّت سنين عديدة منذ حادثة استشهادها الرهيبة. على البقعة حيث وُجدت الشجيرة مع الأشواك سيّد المسيحيون كنيسة على اسم الشهيدة البتول ماركيلا. وفي الموقع التي ارتُكبت فيه الجريمة، أظهر الله مقاماً عجائبياً يبعد قرابة الخمسة عشر دقيقة مشياً عن الكنيسة. يطلق عليه السكان المحليون إسم "استشهاد القديسة ماركيلا" لأنه في هذا المكان قُطع رأسها. والصخرة التي تغطي جسدها البتول هي أيضاً موجودة؛ ولأسباب يعرفها الله فقط هي تخفي رفاتنا ليومنا هذا. وهي قرب تصفّح البحر وليست جزءاً من الصخر القديم، لأنه يبدو أنها قد تدرجت عن الجبل وحطّت هناك. على

الجانب الهابط سقط التراب والبحص من الجبل وغطى هذا الموقع. على وجهها الآخر، أي القريب من شاطئ البحر، هي تمتد حوالي المتر الواحد فوق الماء. وهناك بروز طفيف على الصخرة حيث هفوة صغيرة بحجم الأصبع تقريباً تسمح بالماء الدافئة الصافية والمالحة بالخروج. وهي تنبع مياه عجائبية لهذا اليوم معروفة بشفاؤها وسحقها لجميع الأمراض.

هذا الحدث الغريب في الطبيعة يدفع المرء للتعجب كيف الماء تنضح من الصخرة وهي ليست متصلة بالجبل بأي شكل من الأشكال؛ لأنه لو كانت جزءاً من الجبل لكان المرء يتكهن بأن الماء تنبع من هناك. ولكن إذا أتت الماء من البحر، لكانت الماء انقطعت بالكامل حين يتراجع المد، وذلك لأن النبع سوف يجف. ولكن، بعكس كل ذلك، تنبع الماء من الصخرة باستقلالية ومن تلقاء نفسها.

بالرغم من أن المياه هي صافية، هناك بعض الصخور السوداء على الشاطئ القريب، وهي فطرية نسبة لهذه المنطقة، قد تحوّلت إلى لون أصفر-أحمر. ليس فقط الصخور على الشاطئ لديها هذا اللون، بل أيضاً تلك التي في الماء أيضاً، ولعمق ثلاثة أمتار. هذا هو الموقع الذي يسميه أهل المنطقة بـ"الدم المقدس". إن كاتب خدمة الشهيدة ينعت الصخرة التي تتدفق منها المياه الشافية بكلمة "سوروس" (إناء يحمل رفات بشرية). فحسب التقليد، إن رفات القديسة هي مخفية داخل هذه الصخرة وهي المصدر التي تنبتق منه المياه.

فعلاً إن الأمر الأبرز هو ليس دفء المياه وليست ظاهرة تلوين الصخور - فهذا الأمر قد حصل في أماكن أخرى في العالم - ولكن فوراً حين يبدأ الكاهن بقراءة خدمة تقديس الماء، يعلو هناك من البحر قرب هذه الصخرة أثراً صغيراً من البخار، وسريعاً ما يغطي هذا الضباب البخاري (الشبيه بمرجل مغلي مفتوح) الساحل البحري بأكمله. وفي ختام الخدمة، تتوقف هذه الإنبعاثات البخارية كلياً وتعود الطبيعة إلى حالتها الطبيعية. "هذا أنا"، يقول كاتب هذا المقتطف باليونانية⁸، الأسقف ماثيو لانجز، "قد رأيته بعيني".

حين تكون أعجوبة على وشك أن تحصل، على سبيل المثال حين يكون أحدهم على وشك أن يُشفى، عندها يرتفع عامود البخار إلى مستوى أعلى، وهذا بالتالي يكون مؤشراً مؤقتاً. فالكاهن الذي عاين هذا الأمر عدة مرات أخبرني عنه. على مسافة ليست بعيدة جداً عن البقعة التي قُطع فيها رأس البارة، نجد أن الصخور ملونة بالأحمر تحت الماء. يُقال أن والدها ضرب عنقها هناك وسُفك دم الشهيدة على تلك البقعة ملوناً بالصخور بالأحمر. "حقاً أنا، الأسقف ماثيو لانجز رأيت هذا المنظر بعيني ولاحظت أن الصخور لا تعطي هذا اللون في أي مكان آخر باستثناء هذه البقعة تحديداً." إن هذا اللون ليس طبيعياً لأنه حين يتم حكه يزول ويظهر جلياً اللون الأسود الطبيعي للصخرة. العديد من الذين طلبوا بإيمان نعمة القديسة ماركيلا قد تناولوا من هذا الماء الذي يشفي كل مرض.

عجائبها

إن العجائب التي تحصل في مقام قديستنا هي عديدة جداً لدرجة أنه من المستحيل أن نصفهم جميعاً هنا. فالحجاج يتدفقون إلى هناك من أماكن أخرى من خيوس ويسارا وينالون الشفاء لأمرضهم. أثناء الإحتفال بعيد عروس المسيح البريئة من الدنس الواقع في ٢٢ تموز (كنسي)، يتجمع هناك حشد كبير. لهذا السبب قام السكان المحليون في الآونة الأخيرة بترميم كنيستها وتوسيعها. نود أن نروي لقرائنا البعض من العجائب الكثيرة التي حصلت بشفاعة القديسة.

١. في العام ١٧٨٢، كان لأحد الكهنة من فوليسوس طفلاً مريضاً وأراد أن يأخذه ليغتسل في مقام القديسة ماركيلا، لكنه لم يعتقد أن الطفل قد يشفى لأن مرضه كان خطير. وقع في حالة يأس وحيرة وخضع للفكرة أن حتى نعمة الشهيدة لن تشفي طفله.

ماذا فعلت القديسة؟ مريدهً أن تُظهر الجرأة التي لها أمام الله والنعمة لصنع العجائب، فجأة في تلك الليلة وحين كان الكاهن غافياً في نومه، بدى له الأمر وكأنه كان على البقعة التي استشهدت فيها، أي في المكان التي تتدفق منه الماء. ظهرت له القديسة ووبخته لعدم إيمانه قائلةً، "طفلك بكل تأكيد سوف ينال الشفاء ولا تشك أنني حصلت على النعمة من الله لصنع العجائب!"

عندما سمع الكاهن ذلك خاف كثيراً لدرجة أنه استيقظ مرتعداً ولم يستطع الكلام لمدة طويلة. بعد أن تاب عن شكوكيته، تعهد بحضور الجميع أنه سوف يكرم القديسة من ذلك الحين فصاعداً. في تلك اللحظة حين تكلم، شُفي الطفل أيضاً. بعد ما رآه واختبره، أصبح أكيداً من نعمة القديسة. وهكذا مجد الله وشهيدته العظيمة وعروسه ماركيلا.

٢. في تلك السنة عينها، كاهن آخر من القرية ذاتها، الأب ميخائيل، كان له طفل يدعى نيقولاوس كان مريضاً لفترة طويلة. مر الزمن ولم يتعافى الطفل، فطلب عون القديسة. وبعد يومين، يا للعجيب! ظهرت له القديسة ماركيلا في حلم كما هي مرسومة في الأيقونة.

عابن الكاهن القديسة ذاهبة إلى المنزل حيث كان الطفل المريض. فجراً استيقظ الكاهن وذهب لزيارة الطفل ويا للعجيب! نيقولاوس قد تعافى كلياً. عندها مجد الأب ميخائيل الله (العجيب في قديسيه!) وشهيدته ماركيلا.

٣. في شتاء عام ١٧٨٥، وعندما حاولت مجموعة من منطقة أخرى بالجيء إلى قرية فوليسوس، واجهوا صعوبات كبيرة بسبب الطقس العاصف. انهمرت الثلوج والأمطار بتقطع وبعدها أغمي على إحدى النساء من مجموعتهم. لم

تستطع التقدم إلى الأمام لأن طبيعة الأرض كانت وعرة والموقع بعيد، فانطرحت على الأرض كالمائة. لم يستطع الآخرون إنعاشها، فحملوها إلى قلاية كنيسة مجاورة تحمل إسم القديس جاورجيوس موجودة في الجبال في مكان يدعى فلوري. تركوها هناك في حالة غائبة عن الوعي وتابعوا رحلتهم إلى أن وصلوا إلى فوليسوس.

فور وصولهم، أخبروا الحادثة لزوجها. هذا وبعد أن علم بالأمر بدأ بالصلاة للقديسة ماركيلا لكي من بين عجائبها ستقوم بهذه الأعجوبة أيضاً وتنقذ زوجته من الموت. و هكذا، وبعد أن ابتهل للقديسة لتقوم بذلك، استجابت صانعة العجائب الشفوقة لصلاته.

ظهرت البتول المغبوبة للمرأة وأسعفتها. بدى الأمر للمرأة وكأن القديسة ماركيلا أمسكت بيدها وأخذتها إلى زاوية الغرفة حيث كان هناك سرير طفل. ومن ثم ظهر الأمر للمرأة وكأنها تلقت ماء من القديسة وشربت. حصل هذا الأمر بين كانت العاصفة تهيج؛ وبالتالي لم يستطع أهالي القرية بإنقاذها إلا بعد تسعة أيام أخرى. اعتبروها قد ماتت. وعندما ذهبوا إلى هناك ليقوموا بدفنها، وجدوها آمنة وبصحة جيدة. فهي استعادت قواها من الماء التي أعطتها إياها القديسة. وبعد ذلك، أخبرت الجميع أنها عاينت وسمعت القديسة ماركيلا، لمجد الله والإمتنان للشهيدة.

٤. رجل آخر لديه طفل ضربه العمى. أخذه إلى موقه استشهادها و غسله بالماء المقدسة. بعد أن تضرع للنعمة التي امتلكتها القديسة، حصل على رغبته. استعاد الطفل نظره وبعدها أصبح يبصر كما كان سابقاً.

٥. شخص آخر رجلاه مشلولتين ذهب إلى الكنيسة بإيمان وطلب أن يُذكر إسمه في القديس الإلهي لكي يتعافى. ويا للعجبية! ففي الوقت الذي كان فيه ساجداً على الأرض أثناء الدخول الكبير، حين تُقدّم الأسرار المقدسة، وقف منتصباً ومجدّ الله وشهيدته البتول ماركيلا.

٦. إمراة من جزيرة بسارا المجاورة لخيوس كان لديها قرحاً في فمها منعها من تناول الطعام والشرب وحتى الكلام. زارت عدة أطباء بحثاً عن علاج لهذا الورم الخبيث، ولكن بدل من أن تتعالج، لم يحصل أي تحسّن. ازداد سوء المرض وسبب بمشاكل كبيرة للمرأة. شعرت بالحزن وبكت من الوجع الذي عذبها يومياً.

في العام ١٧٨٠، قررت مجموعة من نساء أخريات بالذهاب لتكريم القديسة ماركيلا. قالوا للمرأة المريضة، "لماذا لا تأتي معنا لكي نُظهر عليك الرحمة؟" وافقت وذهبت بإيمان تقوى كبيرين إلى كنيسة القديسة. حضرت القديسة وبعدها ذهبت مع الكاهن الآخر إلى موقع النبع العجائبي حيث قام بخدمة تقديس الماء.

وفي الختام، غسلوا أنفسهم من هذه الماء وشربوا منها. فجأة، حصلت عجيبة! فنعمة الشهيدة البتول شفت المرأة مما سمح لها بالتكلم دون أي عائق وبالأكل والشرب دون إزعاج. بقيت بصحة جيدة بعدها ومجدت الله بينما وفي الوقت ذاته أذاعت بالنعمة العجائية للشهيدة البتول.

٧. أحد أبناء سكان فوليسو عانى من أرجل ملتهبة لمدة ثلاث سنوات. أثناء كل تلك الحقبة لم يتوقف عن تناول العقاقير ودفع أموال طائلة للأطباء. ومع ذلك، ليس فقط لم تتحسن حالته بل ازدادت سوءاً. بحلول العام ١٧٨٥، وبينما هو ينتظر الموت، وضع كل رجائه على القديسة ماركيلا. بالرغم من أنه كان يستحيل عليه الذهاب إلى كنيستها ومقامها المقدس، قام آخرون وحملوه. بعد ختم القديس الإلهي، حملوه إلى المقام. وبعد أن اغتسل بالماء المقدس، يا للعجب! استعاد صحته.

٨. امرأة أخرى مشلولة في الجزء السفلى من رجليها، عانت الكثير من المشقات لإيجاد علاجاً لها، ولكن دون جدوى. فقدت كل أمل بمساعدة بشرية ولجأت للقديسة ماركيلا. سألت بعض الأشخاص بأن يجلبوا لها القليل من الماء المقدس من مقام القديسة. في تلك الليلة، ظهرت لها القديسة في منامها وقالت لها، "لا تحزني؛ سوف أرسل لك الشفاء."

في اليوم التالي، جلبوا الماء المقدس للإمرأة المشلولة. غسلت رجليها بها و بعدها، يا للعجيبة! تم شفاؤها بواسطة القديسة التي بشفاعتها ليرحمنا الله ويخلصنا لأنه صالح ومحب للبشر وحده.

٩. قرابة العام ١٨٥٠، قامت ماريلا جاورجيوس أناغنوسطو-سوترايا، وهي امرأة راشدة من ليثيا في خيوس، وحملت ابريقاً أثناء الليل لتجلب مياه من نافورة القرية. فجأة انزلت في مكان مجاور و اضطرت أن تُحمل إلى بيتها. و لمدة سبعة سنوات بعد ذلك بقيت مطروحة في سريرها بسبب الشلل.

في رؤية أثناء نومها، عاينت والدة ماريلا التقية نفسها في كنيسة القديسة ماركيلا الصغيرة. ولكن المكان والكنيسة كانتا غير معروفة لديها. بعدها عاينت والدة امرأة شابة تقول، "ابنتك إذا تأتي إلى منزلي، سوف تصبح بحير." فسألتها الأم، "وأين هو منزلك؟" أجابت المرأة الشابة، "هناك بالقرب من فوليسوس." عندما سمع والد ماريلا الذي يخاف الله بهذه الرؤية، أدرك فوراً هوية المرأة الشابة.

بعد ذلك، أخذ الوالدان ابنتهما المطروحة في الفراش. ثم أخذوا مركباً وأبحروا على الشاطئ إلى أن وصلوا إلى كابيلا القديسة. تركوا ماريا تحت أيقونة القديسة كما ترك المخلّع سابقاً على قدمي يسوع.⁹ وبعد أربعين يوماً وليلة من الصوم والصلاة، حان يوم عيد القديسة ماركيلا.

أثناء دورة القرايين الكبرى في القديس الإلهي، فجأة وقفت ماريا الساكنة منتصبَةً وذهبت لتقبّل الأيقونة المقدسة. عندما عاينوها تمشي، تحرّكت مشاعر الرعية بأكملها وابتهجوا.

والداها حتى رقادها ذهبوا للصلاة سنوياً في كنيسة القديسة وقدموا القرايين لتقدّس. رافقتهم دائماً ابنتهم ماريا التي عاشت أربعين سنة أخرى إلى أن رقدت في سن عجوز. هذه العجيبة تحديداً أكدها البروتوسينكيلوس كيريلس تريشاكه (١٩١٥) الذي كان قد تكلم مع والدا ماريا، وهما أقرباؤه من خلال زواجه.

١٠. جندي من فرونتادوس في خيوس خدم في اسكرا خلال العام ١٩١٧. في وسط دخان ودماء المعركة، عاين امرأة شابة تسرع إلى أرض المعركة. توسل إليها الجندي بأن تهرب من المعركة وتخلص نفسها. فأجابته قائلة، "أنا ماركيلا. منزلي يقع على شاطئ البحر قرب بلاتانوس. أتيت لأخلص أولادي."

بالرغم من أن قذائف شديد الانفجار نشرت النيران والدخان، لم تغادر البسمة الجميلة وجه القديسة ماركيلا التي بقيت على وعدها بأن تنقذ أولادها، أهالي خيوس. ولكن قبل أن يُلقي الجندي نظرة جيدة عليها، اختفت القديسة. فالقديسة ماركيلا قد ذهبت مع أولادها، أي زملاؤها أهالي الجزيرة الذي لجأوا إلى عونها أيام الحرب.

عندها كتب الجندي إلى امرأته في فرونتادوس بأن تقيم قداس إلهي يُحتفل به في كنيسة القديسة ماركيلا. تدمّرت امرأته من هذا الطلب لأنه تطلّب رحلة متعبة. لكنها وافقت في نهاية المطاف. عندما وصلت مع ابنتها البالغة ثلاثة سنوات من العمر، ضاعت الطفلة. بحثت الأم عن طفلتها في كل زاوية من القرية وما بعدها.

في اليوم التالي، وُجدت الطفلة في نيفتافي على أيدي قنديلتي كنيسة القديسة ماركيلا. قالت الطفلة أن عمّة ما أعطتها ألعاب. عندما عادت الوالدة إلى كنيسة القديسة، لاحظت الطفلة أيقونتها فصرخت قائلة، "هذه عمّتي التي أعطتني الألعاب!"

١١. إنه شهر أذار من عام ١٩٤٢ في اليونان أثناء الإحتلال الألماني. أبحرت حاملة للنفط على متنها ستة وثلاثين عنصراً ميناء لافريو متجهة نحو آسيا الصغرى. عندما أصبحوا بين جزيرتي خيوس وميتيلين، صادفوا بحار هائجة

وأمواج عالية للغاية. لم يكن بوسعهم توجيه دفة السفينة. وأحد العناصر ابتلعه البحر. في عمق هذه المأساة، جميعهم رفعوا أيديهم إلى الله الضابط الكل وصلّوا لأجل خلاصهم. أحد المسافرين وهو الملازم كريون تاليوس عاين في رؤية غيمة قائمة اللون فجأة تشع زاهيةً فوق البحر الهائج. وداخل هذه الغيمة عاين بناء رائع الذي تغيّر بين اللحظة والأخرى إلى كنيسة مهيبية وجليلة. ومن ثم عاين امرأة شابة وجميلة تخرج منها. هذه أشارت بيدها اليمنى إلى العناصر بأن تهدأ. وعندها حصلت العجيبة! توقفت العاصفة فجأة. وقبل بزوغ الفجر كانت السفينة قرب المياه المقدسة للقديسة ماركيلا حيث كانت هادئة وآمنة.

١٢. من ليثي في خيوس، عانى طفل اسمه ستاماتي، وهو اليوم صيدلي، من مرض ما في عظامه تسبب بضعف في الأوتار، الأمر الذي أدى به أن تكون إحدى رجليه أقصر من الأخرى. جهّز الأطباء الرجل بألة ميكانيكية لكن لم يستطع الطفل أن يمشي إلا بواسطة العكازات.

في كل سنة ذهبت والدة الطفل، السيدة أنجيليكي نيقولوس ديميديس إلى كنيسة القديسة ماركيلا، طالبة الشفاء لابنتها. وبعدها في العام ١٩٥٧ حصلت أعجوبة وتمّ توثيقها في جريدة خيوس المعروفة بإسم "برودوس" ΠΡΟΟΔΟΣ، أي "التقدّم":¹⁰

في ليلة عيد القديسة، أنا (السيدة ديميديس) بعيون دامعة تقدّمت بالشكر والتضرعات للقديسة لكي تصنع أعجوبة. وقام الطفل بالصلاة معي أيضاً. وبعدها سمعت، "يا أمي أود أن أنتصب". قمت بمساعدته فذهب وقبّل الأيقونة. بعد ذلك ذهب خارجاً من تلقاء نفسه، بقوة الله والقديسة. مشى بكل حرية - انظروا إليه الآن. وهذه دعامة الساق التي علّقها أمام شمعدان أيقونتها المقدسة لكي يراها قليلي الإيمان.

١٣. هذه الصحيفة ذاتها، "برودوس" أشارت أيضاً عام ١٩٥٧ أن صبياً في الثانية عشرة من عمره من سيديروتا في خيوس أصيب بالشلل لمدة سنة نتيجة إصابته بداء الروماتيزم الحاد. قامت والدة الصبي بالصلاة أثناء ساعة القانون الإبتهالي (البراكليسي) للقديسة، بينما كان ولدها ملقياً أمام الأيقونة العجائبية للشهيدة البتول. ورفعت الأم الصلاة متضرعة للقديسة، "إجعلني طفلي بصحة جيدة يا قديستي! ساعدي هذا المؤسف له. إمنحيه أن يذهب على قدميه إلى قريتنا سيديروتا! إشفقي علينا أيضاً لأننا شعب فقير واجلي البسمة لشفاهنا!"

وبينما كانت راکعة تصلّي، التفت الصبي وقال لبعض الأولاد الواقفين جنبه، "إذا ركضت على الطريق، هل بوسعكم أن تمسكوني؟" وفوراً بعد نفوّه هذا التحدي، ركض خارجاً. وأخذ الأولاد الآخرون يطاردونه حول الكنيسة.

هذه الأعجوبة شهد عليها المئات من الحجاج داخل الكنيسة. وجميعهم بعد ذلك مجدوا وشكروا القديسة على هذه العجيبة.

١٤. في العام ١٩٦٥، ماركيلا باسيل فوتينوس من أرموليا، خيوس، التي عانت من مرض الصرع واضطرابات دماغية، حصلت على الشفاء بالكامل وأعيدت إلى حواسها.

١٥. في كانون الثاني من عام ١٩٦٨، طرح نيقولاوس كونتوبوديس، وهو أحد رجال الجندرما من بسارا، طرداً في البحر من جهة بسارا. احتوى الطرد على شموع وزجاجتين من الزيت بثمان سبعين دراخما، ولائحة بالأسماء لتذكر على المذبح، و أشياء أخرى. على الطرد من الخارج، وضع المرسل كعنوان "القديسة ماركيلا". وبالفعل، جلبت أمواج البحر الطرد إلى مكان الوصول، على الشاطئ البحري قرب كنيسة القديسة.

١٦. في ٢١ تموز ١٩٧١، أي في ليلة تذكار القديسة، زارت فوتيني جورجاكوبولوس من أثينا، وهي صاحبة الثمانية وثلاثين سنة من العمر، كنيسة القديسة. هذه عانت من مرض شلل الأطفال منذ أن كانت في الخامسة من عمرها. بعد صلاة الغروب الكبرى، اقتربت فوتيني إلى أيقونة القديسة من دون عكازاتها ومشيت بحرية.

١٧. عجيبة أخرى حصلت مؤخراً في أيامنا هذه حصلت في أستوريا، نيويورك. أصيب ديمتريوس كوكوتاس بجلطة وأصابه الشلل. كان ينتظر مكان له في إحدى مستشفيات نيويورك لتلقي العلاج الفيزيائي. أصيب هذا بإعاقة كاملة ولم يكن في وسعه تناول الطعام أو الإهتمام بحاجاته الشخصية دون مساعدة. مرّت أيام وتلك اللحظة لم يفرغ أي سرير في المستشفى. فازدادت معاناته.

في أحد الأيام وهو يعاني من وجع كبير، قال للكاهن، "يا عزيزي الكاهن، قل صلاة لكي تفتح المستشفى أبوابها لي أنا أيضاً، أو أقله لأن أموت لأنني لا يمكنني أن أتحمّل عيش هذه الحياة بعد الآن." نصحه الكاهن بأن يصلي للقديسة ماركيلا، فقام بذلك. بعدها سأله، "ماذا قلت للقديسة ماركيلا؟" أجابه، "ماذا عساي أن أقول لها؟ أليست هي على علم بما أنا محتاج إليه؟" في ذلك اليوم عينه، غادر السيد ديمتريوس المستشفى وعاد إلى منزله في أستوريا، نيويورك. قبل مغادرته، قبّل أيقونتها وصلّى لها ثانية. التفت إلى الكاهن وقال، "أنا مغادر، وإذا المستشفى أرادت أن تفتح أبوابها لي أيضاً، هذا رقم هاتفي. عندها اتصل بي."

بعد يومين، أعلمته المستشفى أنه أصبح له مكان. عندما سمع ذلك، فرح جداً وتحمّس لدرجة أنه عانى من جلطة أخرى وفقد وعيه وأخذ إلى مستشفى أستوريا العام وهو في غيبوبة (كوما). أخبر الأطباء أقرباءه أنه في حالة غيبوبة، وأنه

عليهم المجد إلى المستشفى لينتظروا النتيجة. في تلك الفترة، حصلت العجيبة. ففي رؤية عاين الرجل المطروح في السرير رئيس الملائكة ميخائيل على عربة آتياً ليأخذه. ولكن في اللحظة ذاتها ظهرت عذراء شابة أدرك أنها القديسة ماركيلا. هذه منعت رئيس الملائكة ميخائيل من أن يأخذه. وأشارت بيدها للرجل المطروح في السرير أنه سوف يبقى.

بعد أيام قليلة تعافى الرجل المريض ونُقل إلى عيادة للعلاج الفيزيائي. وحصل انعكاساً تاماً في وضعه الصحي. غادر إلى أثينا حيث نقل للعيش في ضاحية كيفيسيا. بكل تأكيد، القديسة التي تضرع إليها من أعماق قلبه قد أنقذته من موت محتم.

هذه العجيبة وغيرها من العجائب لا تزال تحصل ليومنا هذا بواسطة القديسة المجيدة ماركيلا الشهيذة البتول، فخر جزيرة خيوس.

الأبوليتيكيون (الطروبارية)*

باللحن الخامس، على وزن "النسبح نحن المؤمنين"

يا من بغير فساد حفظت بتوليتك ، وأُحصيت الآن مع ساكني الأُخدار السماوية.
لقد رفضت تحرشات أبيك فقطع صدريك وهامتك.
يا ماركيلا مجد خيوس، يا من ياكليل الشهادة تنبعين لنا الآن عجائبك الوفيرة.

* تأليف بيتروس، متروبوليت أستوريا (١٩١٥-١٩٩٧)

الملاحظات:

* نقلها إلى العربية مايكل شقرا عن http://hotca.org/orthodoxy/lives-of-saints/43-life-of-st-markella-of-chios#_ednref10

¹ تم جمع المصادر اليونانية التالية واستخدامها في كتابة هذه السيرة بالإنكليزية:

In addition the The Great Synaxaristes, Της Χίου το Κλέος [The Boast of Chios] (Athens, CR: Rt. Rev. Bp. Petros of St. Markella, Astoria, NY 1968); Joseph D. Agapetos, Μαρκέλλα, Ο,Ματώμενος Κρίνος [Markella, The Blood-Stained Lily] (St. Stephanos, Attike, CR: Holy Convent of St. Theodosios the Coenobiarh, 1990); Metropolitan Dionysios, Μαρκέλλης της Χιοπολίτιδος [Markella of Chiosl (Volissos, Chios, CR: Shrine of St. Markella, 1990);

² هناك عدة نظريات مقترحة حول المكان التي قد سكنت فيه القديسة ماركيلا. البعض يقترح أنها عاشت أثناء فترة إضطهاد إيسيدوروس في خيوس. آخرون يصرون أن اسمها الروماني واقتناع والدها الوثني واستخدامه للقوس والسهم قد يضع هذا الحدث أثناء فترة إضطهاد الإيقاعات الثالثة والرابعة. من جهة أخرى، هناك العديد الذين يشترطون أنها عاشت بعد القديسين إيسيدوروس ومترونة، وهذه الأخيرة قد رقدت عام ١٤٦٢. القديس نيكيفوروس خيوس الذي كتب خدمتها الإلهية سوياً مع مؤرخين آخرين يضع تاريخ استشهادها قرابة العام ١٥٠٠. أغلبية اللاهوتيين والباحثين يفضلون التاريخ بعد ١٥٠٠ خاصة أنه ليس هناك أي سجلات أو مقام لذكراها وُجدت قبل ذلك الوقت (المتربوليت ديونيسيوس، ص. ٧-٨).

³ بناجيا (Παναγία)، "الكلية القداسة" هي مصطلح يوناني يستخدم عادة للإشارة إلى والدة الإله.

⁴ " في بُيْتِ أَبِي مَنَازِلَ كَثِيرَةً، وَإِلَّا فِإَيَّ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لِأَعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا" (القديس يوحنا ١٤:٢).

⁵ خروج: ٢٠:١٢

⁶ بسارا تقع حوالي ١٧ ميل بحري شمال غرب مرفأ فوليسيس الغربي الصغير في خيوس. بسارا، التي تبلغ مساحتها ٤٠ كلم مربع ولديها ٣٦ كلم من السواحل، عدد سكانها ضئيل جداً.

⁷ يقول التقليد أنه بعد أن أشار الراعي بيده إلى مكان خباء المغبوبة، تفوهت: "لترجف أنت كما أنا أرتجف." ومنذ ذلك الحين عانى هذا من رجفات متواصلة في أطراف جسده. وهذا حصل ليس فقط معه بل لأولاده أيضاً. في الحقيقة، هذه الصفة انتقلت إلى العائلة من جيل إلى جيل. والأحفاد الذين يدعون أن نسلهم ينحدر من هذا الراعي لا يزالون لهذا اليوم في خيوس وهم أيضاً لا يستطيعون السيطرة على أيديهم وأرجلهم المرتجفة.

⁸ هذا النص المقدم في السنكسار الكبير.

⁹ القديس متى ٩:٢؛ القديس مرقس ١٢-١:٢؛ القديس لوقا ٢٥-١٨:٥

¹⁰ برودوس (Πρόδος)، تاريخ ٢٥ تموز، ١٩٥٧.